على هامش العروبة والمذاهب المعاصرة

مرض السيادة القومية

بقلم علي بدوي

يهمني بادىء ذي بدء ، ان احدد مضمون الحديث عن مرض السيادة القومية ـ وهو الاستعمار ـ من زاوية واحدة هي زاوية : « ١ » المؤثرات المختلفة التي انطبعت بها العروبة ـ كشعب وقضية ـ من جراء تسلط الاستعمار عليها . « ٢ » والعناصر الاخرى التي تحول دون نهضة العروبة من القيود التي قيدها الاستعمار بها. « ٣ » وكذلك النتائج التي تمخضت عن هذا القيد الاستعماري حتى اضحت جزء من وجوده البغيض بالذات. « ٤ » بالاضافة الى مظاهر هذا الاستعمار الذي يخل بسيادتنا القومية . « ٥ » والطرق العملية الكفيلة بالتخلص منه للحاق بركب البشرية المتطورة نحو عالم افضل .

لا احسب قصة الاستعمار قصة جديدة جاءت بفصولها ومآسيها مع مطلع الحضارة الحديثة يوم تم اكتشاف امريكا .. وفتح الهند ، والسيطرة على البحار باكتشاف رأس الرجاء الصالح . بل هي قصة قديمة .. قدم الحياة نفسها ، وهي تحدثنا بان الاستعمار ـ من الناحية النظرية ـ يكمن في هذه الفتوحات التي عملت لها الامم قديما وحديثا .. وفي التسلط والقهر وحب الفتوح ، الذي اورث البشرية منذ بداية تاريخها ولا يزال ، صنوفا من الارهاق والظلم ، تكبدهما الانسان بروح سامية وعزيمة ومراس ، ولا يزال يتكبدهما حتى الان في اكثر بقاع المعمور . ولا اكون مغاليا اذا قلت ان العروبة ـ كشعب وقضية ـ قد ذاقت من صنوف الاستعمار ، خلال الالف السنة الماضية، ما لم تذقه قومية اخرى في التاريخ . فالتتر والمغول الذين جاءوا من الشرق ، والاتراك من الشمال ، والصليبيون من الغرب ، ولا يزالون ، انما اورثوا الشعب العربي عقدة العقد تلك التي سببت له الضعف وهزال الروح ، وانسحاق القيم ، مما ليس له نظير في الحياة قاطبة .

ان هولاكو عندما احرق بغداد .. والصليبيين عندما احتلوا بيت المقدس .. والعثمانيين عندما شملوا بفتوحاتهم الوطن العربي كله .. والحرب العالمية الاولى التي خلعت عن العروبة ، غل الاتراك ، والبستهم اغلال السادة الحلفاء ، هذه التطورات كلها ، والحوادث كلها ، تحكي قصة الاهوال التي عانتها العروبة ، ولا تزال في ذاكرتها ، صورة بغداد المحترقة، وخزائن الكتب تلقى في دجلة ، والوف السفن تملأ الشواطيء العربية ، والجحافل التركية التي كانت تطرق بعنف وقسوة ، ابواب القرى والمدن في الشرق العربي ، من بغداد الى دمشق .. الى القاهرة .. وحتى المغرب ، والجزيرة العربية ، واشتراك العرب في الحرب الاولى ، كثائرين، ومجازاتهم جزاء سنمار بعد الحرب .. ومآسي القضية العربية منذ الحرب الاولى وحتى الان ، هذه الصور الرهيبة من التطور المرير والحياة القاسية، هي الملاحم النضالية .. البطولية حتى حد الاسطورة ، تلك الاسطورة المتفاعلة حوادثها بالحياة حتى الاعماق ، الثابتة رغم الخطوب ، المتفائلة رغم حريق بغداد ، والوف السفن الصليبية ، وجحافل الغزو التركية وضيافة الحلفاء (!) وبقاء تسلط الدول المستعمرة كالعلق على الجرح النازف .

يكاد الاستعمار في حقيقته الماثلة اليوم لا يعبر الا عن صورة من صور اختناق الحضارة الفرنسية . هذه الحضارة التي انبعثت ، منذ عصر النهضة ولا تزال حتى الان تتطور ، وتتطور معها شتى فعالياتها الخيرة وفعالياتها الشريرة . فهي ان استطاعت ان تصنع الانسان السوبرمان ،في العاطفة والشعور والفكر ، الا انها جعلت من مجموع البشر ، عصابات ، همها ، التعدي وخرق القانون وسلب الامنين اموالهم وارزاقهم . واذا كان لنا الان ان نستعرض المؤثرات المختلفة التي انطبعت بها العروبة ـ كشعب وقضية ـ من جراء تسلط الاستعمار عليها ، فاننا نود ان نحدد ما نقصد بالمؤثرات المختلفة اولا .

ليس ممكنا ان تعيش الشعوب في عزلة . هكذا شأنها قديما ، وحديثا، وفي المستقبل . بل هي تعمد الى الاستفادة دائما ، من جهود بعضها بعضا . فهذا العامل الياباني الذي يعمل في اعداد الصحون ، والاخر الهولندي الذي يصنع لنا مصابيح فيليبس ، والعربي الكادح في ابار النفط ، انهم جميعا نماذج بسيطة لها طابع التعميم الذي يتخذ صفة الشمول الدائم ، عن التعاون بين الشعوب ، وتطور هذا التعاون على مدى الايام . اما النتاج الفكري ، فانه قوة دافعة نحو التطور وذخيرة من ذخائر البعث الحي ، ذلك الذي يبعث دفء الحياة في اوصال الحضارات فلا تتجمد او تتحجر . وخير الحضارات ما ماشت فروع الانتاج ـ الصناعية والزراعية والتجارية ـ جنبا الى جنب مع نتاج الفكر . عندئذ تجد الحضارات ما يبرر وجودها ـ لعطائها التطوري ونزوعها الانساني السليم ـ فتتأصل جذورها في حياة المجتمع والناس، ويكون لها الغلبة السلمية في مضمار المباراة القائمة على الاخذ بالاجود واجتناب الردىء .

ضمن هذا الاطار الخلاب لرقي الحضارات يصح القول بان هذه حضارة انسان مثالي ، وحضارة مجموع متحضر ، ابتداء من انسان الغابة وحتى انسان العصر الحديث . ولكن اكثر الحضارات لم يكن شأنها وهي تتطور، شأن هذه الحضارات التي يزدهر فيها الفكر الى جانب العمل ، وحيث يزدهر الفرد ، خلقا وخلقا ، الى جانب ازدهار المجموع خلقا وخلقا ايضا . اذ ان هذه الحضارات ـ والحضارة الغربية بوجه خاص ـ كانت على الرغم من ازهار الحياة العامة ، فانها كانت اشبه ببناء شامخ يقام على دعامات من ازدهار الحياة العامة ، فانها كانت اشبه ببناء شامخ يقام على دعامات رخوة ، سرعان ما ينهار على رؤوس مشيديه . وهي ان استطاعت الانعتاق من اغلال العصور الوسطى ، ودك قصور الاقطاع ، واطلاق الالسنة بالتعبير عن الحرية والعدالة والمساواة وفتح الاشرعة لارتياد مجاهيل البحار والقارات في العلماء والخبراء والمبشرين والجيوش ، وصقلها الانسان

الاوروبي ـ وليد هذه الحضارة الجبارة ـ وجعله اقرب ما يكون بآلهة اليونان الاولين ، شبيها في فكره وعاطفته وطموحه وخياله ونضارة حسه، الا انها وقد ايقظت فيه غريزة الصراع ، جعلت منه ذرة في صحراء المجموع ، تلك التي يقتلها الظمأ الى العدل والى الحق والى الخير والى الجمال . وباتت هذه الحضارة ، والفرد في كنفها ملاك ، انما الملائكة في حال اجتماعهم ، يؤلفون عصابة من الشياطين، قد استيقظوا على صياح الديكة ، فاستأنفوا مسيرهم في مختلف الاتجاهات ، من ثغور ايطاليا وانكلترا وفرنسا ، وهولندا ، متجهين نحو الشرق قريبه وبعيده عند مطلع الشمس ، معتقدين ان هذه البحار كلها والاراضي كلها وما عليها من شعوب وما فيها من خيرات وارزاق ، انما هي مسخرة لخدمتها وطاعتها واضحت اوروبة بفضل حضارتها اشبه بالاله الاسطوري الباحث عن رعية تعبده ، وتؤمن به .. وتسبح بحمده بكرة وعشيا .

يقف عامل تقدير الانسان لاخيه الانسان على قدميه ، اذا انهارت كل العوامل الحضارية الاخرى . فالحضارة خلق وابداع وصقل لغريزةالانسان الاولى وتهذيبه ، والسمو بمداركه وحسه الى سوية البشر السوي . وقد تقف العلوم والفنون والاختراعات ومواكب المعرفة ، وعظمة الفتوحفي مضمار الكشف العلمي كأدلة بارزة على النهضة الراسخة ، ولكن هذهالمقومات الحضارية اللماعة ، يجب ان تهدف الى ارشاد الانسان وتزويده بالروح التي لا تجعل منه تجاه اخيه الانسان ـ سواء اكان من بني قومه او من الابعدين ـ مجردقطعة تتحرك ، يحترق في جوفها الفداء ، وتنتشر في الشرايين والاوردة ، دماء حارة فتية ، فتنطلق الحواس الخمس من عقالها ولا شيء بعد هذا كله . ذلك ان الحضارة جناحا طائر ، احدهما مفتوح على العش الذي يأوي اليه ـ صغر ام كبر ـ والاخر ، انما هو مفتوح على العالم اجمع . ولا قوام لحياة نبيلة بدون هذين الاتجاهين . وكما ينظر المواطن الى زميله المواطن فيساعده ويحترمه ويشاركه افراحه وهمومه ، كذلك تفعل الامم الاغنى نحو الافقر منها ، والاكثر علما نحو الاقل علما منها .. والمتحضرة مع المتأخرة في سلم الرقي او المدنية ، مدفوعة باهداف سامية . لان الانسان كفرد يجب ان يكون هو الانسان كمجموع : في نظرته الى الحضارة والى استخدامه هذه الحضارة لبناء مضمون حي لحياة انسانية فاضلة .

فماذا فعلت اوروبا .. بالعرب كشعب .. وبالعروبة كقضية .. بعد هذا كله ؟!!

انها فعلت الكثير . حاولت حضارتها ان تجعل من الانسان العربي شبه اله ، بتثقيفه ، والرقي بعواطفه وحسه الى مرتبة القديسين . ولكنها عزلته عن مجموع شعبه الذي نبت منه . وما هذه العزلة الفكرية التي يحياها الجمهور المثقف من شعبنا العربي ، سوى رجع الصدى لتلك الاساليب الحضارية التي تؤمن بامكان عزل الانسان عن واقعه وبيئته وقضايا شعبه ، بالمزيد من العلم والمزيد من التحضر ، والمزيد من الابتسام في حفلات الكوكتيل . واماتت في هذا الانسان المثقف روح الجماعة ، وبعثت فيه غريزة البقاء المفردة . وعاد تفكير المثقفين ومنحى الثقافة بعامة ، تعزيزا لكرامة الفرد ، مع قهر لكرامة الامة التي ينتمي اليها ، وبعثا لصفحات السمو الانساني مع تسجيل وقح لاعدام البشر غير المتحضرين بوسائل ليست مشروعة . واذا كان قرن ونصف قد مضيا على هدير مدافع نابليون حول الاهرام او سبعة قرون ونيف ، على الحملة الصليبية على بيت المقدس ، فان مدافع نابليون لا تزال تهدر .. والسفن لا تزال تحمل السموم من جديد لتدمير قوميتنا الناشئة وعرقلة تطورنا نحو حياة افضل ، وعزة مرهوبة الكيان . ولعل العروبة كقضية لم يضعفها شيء قدر ما اضعفها الحرب والغزو... وعثرات الاعلام الاجنبية تخفق في سمائها الزرقاء الصافية من المحيط الى الخليج .

ومع توالي الغزو ، واعادة المذابح ، بين الان والاخر ، تولدت في الذات العربية ، عقدة الخوف من الغد ، وعقدة الركون الى جانب القوي للحماية، والايمان المريض بان ركب العروبة قد فات ، وما حيلتنا وعدتنا مع معركة البعث معروفة ، الى جانب قنابل الذرة والهيدروجين والصواريخ عابرة القارات ، والاقمار الاصطناعية .. وهذه المعاهدات التي تعقد مع الدول الكبرى هي خير دلالة على عقدة الخوف من الغد والركون الى جانب الدول القوية للشعور بفضيلة الحماية من اخطار موهومة اولها الغزو الشيوعي.. واخرها الغزو الشيوعي . ولم تقتصر العقد على عقدة الخوف ، وعقدة فقدان الثقة بالنفس ، بل اضيفت الى القائمة الحقيرة ، اسماء اخرى ، بعضها التآمر على الشعب وعلى حقوقه الاساسية في الحرية والسيادة والتعبير عن الرأي . ونشأ بين ظهرانينا حبل طويل شد به مئات العبيد الذين تربعوا على كراسي الحكم .. وكانوا عونا للاجنبي على بنيوطنهم.. بالرصاص تارة ، والسجون تارة .. والنفي والابعاد اذا نفد الرصاص ، واكتظت السجون بالاحرار !!

وكان ان انتهى العرب بعد قرن ونصف منذ هدرت مدافع نابليون حول الاهرام ، الى ان تخوض العروبة كقضية، ثورة الجزائر العارمة ، فضلا عن عدة ثورات تحريرية تخوضها العروبة في عمان والمحميات ، واكثر الاقطار العربية الاخرى ، حيث الحرب سجال بين الاستعمار ـ وقد وقف في صفه العبيد والخونة ـ وبين الشعب العربي الذي يهدف من حربه الصريحة هذه الى طرد الاستعمار .. وفي اثره طغمة العبيد ، اولئك الذين يريدون ان يقدموا الوطن العربي والشعب العربي ، هدية لسادتهم ، جزاء حماية هؤلاء السادة اياهم وتمكينهم من الحكم بشتى الاساليب والمغريات .

حيال ذلك الالحاح في الضعف .. والالحاح في بث بذور الثقافة الحديثة ، مجردة من حياة الامة وواقعها ، وتصوير هذا الواقع ، تصويرا صادقا ، لدراسة علله وامراضه ، ووصف الدواء الناجع لهذه الامراض والعلل ، حتى انجبت هذه الثقافة الحديثة ، جمهرة من المثقفين ، يقودون خلفهم بعض السذج البسطاء ، والذين لا حول لهم ولا طول ، في اتجاهات مختلفة : بعضهم يؤمن ان العروبة يجب ان تنحو نحو الغرب واقامة مجتمع عربي على النمط الغربي ، ديمقراطية .. واحزاب .. وشركات.. وصحافة حرة .. وتكافؤ الفرص بين المواطنين . وفئة اخرى تدعو العروبة لان تتجه نحو الشرق ، للايمان بالشيوعية كمنقذ ، وبالاتحاد السوفياتي كنصير، مدعين لذلك بان العالم يتطور ككل ... والحضارة تتطور ككل .. ولا معدى للعروبة عن اللحاق بركب التطور ، وهناك اليوم عالم قديم ينهار هو عالم الرأسمالية ، وعالم جديد يشرق فجره ، هو عالم الاشتراكية . وهناك فئة ثالثة ، انشأ روادها احزابا تدعو الى العروبة بمعزل عن الشرق والغرب ، ولكن هذه الاحزاب التي تدعو الى العروبة الصرفة ، لا تستطيع في الواقع ان تكتسح اولئك الذين يدعون الى ربط العروبة بالغرب .. او اولئك الذين يدعون الى ربطها بالشرق .. وكذلك لا تستطيع ان تقدم للشعب العربي ، مادة حية للنضال ضد هذين الاتجاهين المتطرفين بالذات .

تجاه مثل هذه الفوضى القيادية ، كان الحلفاء ييسرون لانفسهم انصارا من العرب في حربين عالميتين وان كان من المشكوك فيه ان يتيسر لهم في اية حرب مقبلة ، مثل ما يتيسر لهم منذ مطلع هذا القرن .. وحتى نهاية

الحرب العالمية الثانية ، وان كنا لا نستطيع ان نجزم ، ما دمنا نرى حولنا على الارض العربية ، قواعد تشاد .. ومطارات تمهد .. وجيوشا اجنبية تعسكر وتنتظر .. وحكومات رجعية تصلي للاستعمار كل يوم خمس مرات .. وتكفر بنعمة امتها وقوميتها ، ارضاء لشيطان المال والجاه ، ما امرها الاستعمار بالكفر .. واوصاها بالالحاد !!

٢

التطور في حياة الامم ، اشبه بالملح الذي لا بد منه لكل طعام . وامة لا تتطور ، امة تموت لا محالة . والتطور قد يأخذ منازع مختلفة . ذلك ان المشارب التي يستقي منها الشعب العربي مادة تطوره ، انما هي ذات صلة بالكيفية التي يوفر بها الشعب وسائل معيشته اليومية ونمط النظام الذي ييسر له هذا الهواء الجديد الذي يهب وسط زحام التيارات في حياة اضحى كل ما فيها نذيرا بفبار جديد من تيارات التطور . ذلك ان التطور في الاساس متصل بالملاحظة اذا خلت ذاكرة الشعب من صور العلم المقروءة . وقد تقترن الملاحظة بالاكتساب المباشر اذا كانت الملاحظة تستطيع ان تتوزع بين حاضر ماثل ، ومستقبل مشرق منير . وتطورالشعب العربي ـ بغض النظر عن عوامل التجزئة وتفاوت التطور من قطر الى اخر ـ انما يتم بصورة عفوية ، واحيانا ما يتم بصورة معكوسة يقصد منها خدمة مصالح استعمارية . فلا يتطلع هذا الشعب الراغب في التطور الا على قشور الحضارة الغربية او على سمومها بوجه خاص . هب ان شابا يدعي الاطلاع على الحضارة الغربية ـ كما ادخل في روعه ـ لانه زار اوروبا ، وامضى اكثر ايامه ولياليه ، في مونمارتر بباريس ، او ساحة البيكادللي في لندن وما تزخر به منعطفاتها ، حتى اذا زار نيويورك استقر في الشارع الخامس!! ولكن ان نرى هؤلاء الاقوياءكيف يعيشون في بلادهم.. كيف يحيا العامل ما هي حقوقه وما هي واجباته . كيف ينظم الشعب شؤونه ويصر على المطالبة بحقوقه .. وما هي المسؤوليات التي يتحملها رجال المال والاعمال تجاه الامتيازات الممنوحة لهم .. حتى اذا انعكست كل هذه الصور في خيال انسان يريد التطور بحق .. وجد نفسه مسوقا رغما عنه للانخراط في جمعية منعزلة عن واقع الحياة وواقع المجتمع بسبب ثقافتها المنعزلة عن الحياة والمجتمع ، دون ان يقسر نفسه كشاب مثقف ، كانسان ، لان يغادر مدينته ذات يوم ، الى الريف المحيط بمدينته، يرى محراث حمورابي دون ان يرى تشريعه !! والحضارة الغربية ـ بغض النظر عما فيها من اشياء مفيدة شرط تجريدها من جنسية مصدرها ـ تعتبر اجوبة استعمارية ربطت خيوط الدمى التي تتحرك في الشرق العربي بمراكزها الاصيلة في لندن وباريس ونيويورك وغيرها من العواصم الكبيرة ـ واضحى المواطن العربي اذا حلم بحياة رافهة ، تمنى لو عاش في باريس او لندن او نيويورك او غيرها من العواصم الكبيرة .. واذا عز عليه اتيان المثال الطيب عن قوم شرفاء صادقين وعن شعب مرفه ، قوي ، ذكر الانجليز او الالمان او الروس او الاميركان . اما وطنه ، اما شعبه، اما تاريخه،اما واجبه حيالهذه الحياة التي يحياها هو معبني قومه اذ تشده اليهم مئات الاواصر ، فهذه وجائب لا يتطلبها الا كل مخبول او طامح في خيال ما دام يعتقد اننا ضعفاء لان غيرنا قوي . واننا فقراء لانهم اغنياء . واننا جهلة لانهم متعلمون . وانهم يحيون ويواصلون الحياة ، ونحن نموت ثم نعيد الموت من جديد . وان هذه الحياة الدنيا لهم .. ولكن الحياة الثانية مضمونة لنا وحدنا !!

على ان الفوضى لم تقف عند هذا الحد : حد الاكتساب الحضاري الحر .. وحد وضع الامثولة في نفوسنا لعالم سعيد قوي لا يمكن ان يتراجع قط ، يعيش في اوروبا .. في الوقت الذي تكاد حياتنا لا تساوى فيه شيئا .. بل اننا انسقنا في هذا الخضم من جديد وبحماسة، اذ بعد ان كنا ننساق فرادى في هذه الطريق المميتة ، وكان الاكتساب المباشر فرديا ايضا ، اضحينا اليوم نعيش وسط محاولات ناجحة الى حد ما ، تبذل لادخال جزء كبير من العالم العربي في نطاق الاستعمار الغربي ، باسم وحدة المصير وواجب الدفاع عن الحضارة ، وقد القى على عاتق الاحرار في العالم اجمع(!!) . يجري ذلك كله والفرد العربي لا يزال يعاني مركب النقص تجاه الفرد الاوروبي ، وكذلك يتعرض للاحتقار الضمني منه في بعض الاحيان . ولا ادري اي مصير ينتظر العروبة كقضية والعرب كشعب اذا حاولوا ان يرفعوا مع العالم الغربي ـ والحضارة الغربية بالذات ـ راية الصمود حتى النهاية ، تجاه ريح التطور والمزاحمة التي تهب عليها من المعسكر الشرقي ، دون ان يشعر العربي في اعماقه انه حر .. وكامل الحرية . فهو مستعبد في الداخل ، اقتصاديا وفكريا . وفي الخارج مستبعد سياسيا في الوقت الذي يعطي فيه بندقية مع ذخيرتها ليقتل بها في بعض الاحيان بني قومه ان تظاهروا مطالبين بمزيد من التطور ، وبمزيد من الصدق العروبي فيه . وقد يحمل الفرد العربي هذه البندقية ذات يوم ، ضد اعداء مستعمريه اولئك الذين يسخرونه لخدمة اغراضهم في الدفاع عن الحضارة ، تلك التي لم يعرف منها سوى وجهها الكالح في وطنه ، وسمومها القاتلة التي يتعاطاها ابناء شعبه في غفلة حينا ، وفي يقظة من امرهم حينا اخر ، بالاضافة الى تحكم الاقلية العددية في الاكثرية ، والثروة في جمهرة الفقراء ، وزمرة من العبيد ، في ملايين الاحرار . هؤلاء العبيد بالذات ـ وهم سادة احيانا وحكام مبجلون احيانا اخرى ـ لم يعرفوا من الحضارة الغربية سوى التنعم بمباهج الحياة داخل بيوتهم : براد وغسالة ومراوح كهربائية وراديو وتلفون واقداحشفافة تزيد مفعول الويسكي في القلوب والارواح .. دون ان نقطع اذا كانوا لم ينعموا بمباهج الحضارة في مقاهي مونمارتر ، ومنعطفات ساحة البيكادللي، وفضيلة الزحام الحر في الشارع الخامس !!

٣

شملت الحضارة الغربية التي انتقلت الى العالم العربي ، فيما شملت، الطريقة التي يحياها الغرب في بلاده . هذا الشكل الذي نتخذه في القمة ، اساسا للحكم لدينا ، يخلو من عنصر الافادة ما دام يفتقر مضمونه. اذ تربط هذه الحضارة جوهر الشخصية العربية بمؤثرات ومنبهات لا تمت الى واقع العروبة كقضية ، او العرب كشعب ، مدفوعة ، بعوامل عديدة ، منها ادامة اشكالها ومضامينها الهادفة الى الاستمرارفي الرفاه.. والسيطرة .. على حساب قضايانا العربية ، ومقومات شخصيتنا العربية الاصيلة البناءة .

واليوم ، نحصد ، انقلابا في المفاهيم ، وما تولده هذه المفاهيم المقلوبة من مثبطات لروحية الاجيال العربية الصاعدة . فقد صرفتنا الحضارة عن جوهر الحياة ـ وهو الانسان ـ ومعدن فضائله وسمت خلقه الاصيل وتصرفه الحر ، الى العناية بالمظاهر والقشور . فخالد بن الوليد البطل ليس شيئا ما دام يحارب على ظهر الحصان ويقاتل بالسيف . وطارق ابن زياد ليس شيئا ما دام اسطوله قد خلا من السفن المسيرة بالذرة والصواريخ عابرة القارات . والسمر العربي ليس شيئا تجاه حفلات الروك اند رول الصاخبة . حتى اولئك الذين لا يزالون بالزي الشعبي ما برحوا يلاحقونبالاحتقار من بعض من دخلوا البنطال في هذه الايام . وباتت الحضارة : بنايات ضخمة وسيارات فخمة ، ولكنة تدور في اللسان

مع اللبان ، ومعدة يجب أن تملأ ثروة ، وجاها ، ودسائس القصور ، ضد القصور ، ولا شيء بعد ذلك . اما ان تكون لنا وسيلتنا الخاصة في فهم الحياة مجردة من هدير المحركات وازير الرصاص وعويل عربات المترو ، اما ان يكون لنا نظرة تجاه الانسان الذي يحيا هذه الحياة مناضلا ذائدا عن وجوده ، مبرهنا عن جدارته بهذه الحياة ، وبالصدارة فيها ، اما ان يكون لنا في ماضينا نبراس خالد نعتز به ، فنذكر خالد بن الوليد لا نابليون ، والغزالي لا كانت ، والمعري ، لا شكسبير ، وصلاح الدين لا فريدريك ... فهذا من الخيال الذي نحلم به ونعيد ، دون ان نحصل على مزيد .

اننا لسنا ضد الثقافة ولا ضد الاكتساب ولا ضد فتح النوافذ العريضة لتدخل الحضارات مجردة من ثيابها ... لاننا نؤمن بالحقيقة المجردة ، ونحترمها ، وندافع عن وجودها ، بوجودنا كله ، ونؤمن بطلب العلم للعلم. اما ان يكون الامر إن الحضارات تدخل بثيابها فحسب ، ان يكون التعصب ـ والعلم والمعرفة لا تعرفان التعصب ـ لانسان بعينه مجردا ، من خاصية هذا التعصب ، لابناء هذه الحضارة او تلك ، وان يكون الوقوف على فضائل هذا العبقري ، والتعصب لها ، هو الغاية من الثقافة وهو المبرر الوحيد لنهل مواردها ، فهذا ما نحاربه ، وما لا نقبل به ، لاننا نؤمن اننا شعب له تاريخه وحاضره، وله مستقبله على هدى هذا الحاضر وذاك الماضي . دون ان نقف عن الاكتساب من الحضارات كلها .. والثقافات كلها ، فلا نفقد بذلك ، جوهر شخصيتنا ، فنفقد مبررات وجودنا .

ولقد تعرض العرب فيما تعرضوا له ، منذ مطلع هذا القرن ، وبعد الحرب العامة الاولى بخاصة ، لبعث حضارات من قبورها ، نتيجة لحمى البحث عن حضارات الانسان التاريخ في هذه البقعة من العالم . فاذا مصر فرعونية . ولبنان فينيقي والعراق آشوري . واذا المغرب العربي كله ، فرنسي بعضه ـ كما يدعي اليوم بفرنسة الجزائر ـ وبربري بعضه وما تبقى فاسلام ينطقون العربية دون ان يكتبوا بها . وتأصلت هذه الخطوط التي اسميت حدودا ، كما تتأصل السلسلة اذا قيدت بها الاقدام ، مما اقام في داخلها دولا وحكومات .. واقام خارجها ، نظرات الطمع والاستيلاء يؤججها الاستعمار ضد هذه الاقطار العربية وفيما بين بعضها بعضا.واذا الدول الاستعمارية التيتوزعت العالم العربي فيما بينها، ممثلة في الجيوش والشركات ، تسعى جاهدة لتؤصل هذه الحدود ، فلا تنهار ، وتقيم تلك الحضارات المحنطة ، فاذا هي تسعى ، واذا بها تلقى منها التشجيع والمدد ، سرا وعلانية ، حتى اذا اتت الحرب العالمية الثانية وخرج العالم منها منتصرا على الشر ، تبين العالم العربيانه مسوق الى حتفه ان لم ينزع هذه القيود ، فسيكون النير جزءا من الرقبة،والقيد جزءا من الاقدام . فحاول ان يقر هذه الحضارات التي تشبه تماثيل الشموع الخالية من الروح .. وباتت العروبة بين نارين : نار الاستعمار وزبانيته .. ونار الذين آمنوا بالحضارة الغربية ـ والاستعمار عصارتها الحتمية ـ وقيمها ، وانكروا كل صلة لهم بشعبهم وبتاريخ هذا الشعب ، فانهزموا من ساحة المعركة النضالية التي يتأجج اليوم نارها، متطلبة منا جميعا ، كل عون مادي او أدبي .

والاستعمار لا يأتي من الخارج فحسب . بل انه ينبع من الداخل ايضا. لاننا لا نستطيع ان نقنع بتحرر وسيادة اي قطر عربي ، اذا لم تتفتح حياة الشعب فيه على اوسع نطاق ، ولم يوجه شعبه للاكتساب بالمزيد من اسباب التطور التي تهب ريحها من اربعة اطراف المعمور . وعندما تقتصر وسائط المواصلات على الحمير والبغال والجمال ، وتقتصر الثقافة على قراءة بعض الكتب الدينية ، وتقتصر التجارة والصناعة والزراعة على وسائل قديمة ، بل لعلها نماذج اولى لنشوء الحضارة البدائية .. وعندما يقتصر سلاح الشعب على سيوف من خشب ، تقوده وتوجهه وتحكمه ، وعندما يخلو البلد كله من مدرسة .. ومن مستشفى.، وتحول المدارس التي كانت فيه الى قصور ، والمستشفيات الى سجون ، فاننا نقف ـبسبب ذلك كله ـ حيال اعلى انواع الاستعمار : استعمار يغل العقول والافكار والنفوس ، فلا تنطلق لتؤدي واجبها حيال العروبة في هذا الجزء المعزول عن العالم كافة . ذلك ان التفريط في الخوف من الاستعمار يؤدي الى استعمار مماثل. والا اتكون الحياة هكذا ، بحيث تعاش بلا هواء جديد ، وبلا تجربة جديدة ، لتصاب الشعوب بالعقم الذي لا تبرأ منه الا بمرور عدة اجيال تكون هي الضحية الصامتة .

والعروبة ، وقد اصيبت من الاستعمار الغازي ، بالكثير ، قد اصيبت ايضا من الاستعمار المنبعث من داخلها من فوضىالقيادات وفوضىالسلطان وتآزرهذهالقيادات فيما بينها فلا تنهارالقصورالمشيدة علىالرمال.لتنهارمعها الرؤوس الفارغة التي تحكم الملايين ، بالادعية والتعاويذ ، غير مصغية الى نصيحة او مشورة ، جاعلة من النفوس النبيلة والجباه السمراء ، محطا لاقسى انواع العذاب والتشريد والنفي والابعاد عن الاوطان .

على ان المنطق السليم ، لا يلهينا دائما عن الشذوذ الذي تحفل به القاعدة . فكما ان الاستعمار الخارجي ، عدو للقومية العربية ، للشعب العربي ، فكذلك الاستعمار الداخلي ينبغي اعتباره كالاستعمار الخارجي سواء بسواء . بل ان الجريمة تغدو اكثر خطرا ، تجاه تعطيل الملايين من ابناء الشعب العربي ، فلا تكون ملاذا ونصيرا لمن ابتلوا بالاستعمار الحقيقي في فلسطين والجزائر وعمان ، وكل ارض عربية لا تزال تشكو من رجس الغاصبين.

٤

ان الاستعمار في العالم العربي يتجلى في مظهرين : الاول ، اسرائيل. والثاني ، الاحلاف التي تفرضها الدول الاستعمارية على العالم العربي ، والرجعية التي تقبل هذه الاحلاف آملة ان تزيد من أمد بقائها في الحكم.. وابقاء الرجعية في كل شيء كمظهر للاستعمار الداخلي .

فاسرائيل تمثل في الحقيقة كل الاخطار التي يمكن ان يتصورها المرء عندما يريد ان يدقق في هذا الكيان الذي خلقه الاستعمار وسط عالمنا العربي . ان اسرائيل ليست نزعة دينية بقدر ما هي فكرة اقتصادية . وليست اداة للعدوان بقدر ما هي خطر محدق بكافة دول المنطقة في كل آن . وهي اداة طيعة في يد جماعة الاحلاف يؤدبون بها من لم يتأدب بعد ، ويشهرونها سيفا مجردا من قرابه في معركة تطويع الشعب العربي لخدمة الحضارة المنهارة ، والدول التي لا تزال تحلم ببعث امبراطوريات القرون الوسطى ، وتوطيد الامبراطورية الاقتصادية الاولى ، في القرن العشرين : امبراطورية المال واسهم الشركات ومناجم الذهب والفضة وابار البترول ، وتسخر ملايين العبيد في برامجها الهادفة الى الاستيلاء على العالم اجمع ، وباسرائيل ممثلة هذه الامبراطورية في الشرق العربي .

واذا كانت ضحايا اقامة اسرائيل حتى الان لا تتعدى مليون لاجيء مشرد ، عدا الوف الملايين من الليرات ، قيمة املاكهم وارزاقهم وما ترصده الدول العربية على التسلح احتسابا لعدوان اسرائيل عليها ، فان الخطر لا يزال في بدايته ، واذا لم تسد هذه الثغرة فان ثغرات اخرى سوف تفتح ، ولا يسد هذه الثغرة شيء مثل الاصلاح في الداخل مع التسلح والاستعداد للحرب في الخارج . وها هو الاستعمار اليوم ـ وقد هالته الانتفاضة بعد النكبة ـ يسعى جاهدا لكبح جماح هذه الانتفاضة ، وكذلك

لادخال اكبر عدد من الدول العربية في احلافه بحجة الخطر الشيوعي ، في الوقت الذي لا يزال يحاربنا فيه ، في عمان وفي المحميات ، وفي فلسطين وفي الجزائر ، فكيف ستفدو حالنا اذا انخرطنا جميعا في احلافه ... وتسلم زمام امرنا ، نفر من عبيده الاذلين ؟ ايبقى امل في انتصار ثورة الجزائر وفي عودة اللاجئين الى ديارهم بعد طرد العصابات منها وتحرر العرب من ربقة النير الثقيل ، وتخلص العروبة من تيارات المذاهب المتجلية اليوم ؟ ام اننا سنفدو اشلاء ، قد نسلم على ما تحتنا من ارض وما فوقنا من سماء وقد لا نسلم ؟

والمعركة مع الاستعمار تبدو مزدوجة . وهي في الحقيقة كذلك . ذلك ان وجهها الاول عربي بحت، يتجلى في بعث القوى الدفينة وتنظيمها واطلاقها من جديد للوقوف في وجه اسرائيل كخطر مباشر . والوجه الثاني وجه الاستعمار البغيض الذي تضافرت جهوده مع جهود اذنابه في الداخل، لتشتيت هذه الجهود وبعثرتها والحيلولة دونها ودون اتيانها بأي بادرة تدل على سير في الطريق المستقيمة المؤدية الى تجاوب فيما بين العناصر المشتركة في عملية الخلق الجديد التي تمر بهاالعروبة للقضاء على اسرائيل وسد الثغرة التي ان بقيت هكذا ، مفتوحة كما هي اليوم ، فان الخرق سوف يتسع ، وسوف تفمر سياسة الاحلاف ، هذا العالم العربي كله ، ما دام عدوان اسرائيل على كل دولة عربية متحررة من ابسط الامور ، وما عدوان اسرائيل على سوريا ، لاكثر من مرة ، وكذلك عدوانها لاكثر من مرة ، على مصر ، عن الاذهان ببعيد .

وقصة اسرائيل ، ليست القصة الوحيدة التي يكتبها الاستعمار على صفحة ارضنا الطيبة . ذلك انه في داخله ، يكتب القصص المفزعة

الاخرى . حتى انه انساق وراء احلامه في الفتح والغلبة ابان الحرب الاولى ، فحارب المانيا ـ وهي ايضا دولة استعمارية ـ وحليفتها في المشرق، وهي ايضا استعمارية لانها تقوم على العنصرية ، وتشجيع الاستعمار الداخلي الممثل في احياء الرجعية ومدها بالقوة لتبقى على نفوذها وهيكل بقائها المتداعي . فالحرب الاولى ـ وكان من اسبابها ولادة اسرائيل ـ بوحي وعد بلفور ـ انما كانت مظهرا من مظاهر تخبط الحضارة الغربية التي تختنق اليوم بأوسع معاني الاختناق ، اكان اقتصاديا او روحيا ، او فكريا. ذلك ان حضارة تعتبر الحرب وسيلة من وسائل بقائها ، كالحرب الداخلية ـ بين ممثلي هذه الحضارة ـ والحرب الخارجية ضد بقية العالم ، لهي حضارة سوف تنهار من داخلها بحروبها الداخلية ، او من خارجها بانتفاضة الشعوب المغلوبة على امرها ، عليها ، وهذا ما نشهده الان ، حيث نرى انتفاضات الشعوب في قارتي اسيا وافريقيا ، وفي امريكا الجنوبية ، على هذه الحضارة الغربية ، من حيث تنظيمها للعلاقات بين الافراد ، والشعوب ، وهي كلما تحاربت فيما بينها ، استطاعت بعض الشعوب ان تتخلص من القبضة الاستعمارية . ولعل الشعوب التي لم تتحرر بعد ، برغم مضي حربين عالميتين ، فان الامل جد قوى ، بانتصار هذه الشعوب المغلوبة على امرها ، والشعب العربي في طليعتها ـ دون حرب ثالثة ، نظرا لتساند قوى السلم في العالم اجمع مع الشعوب الراغبة في الحرية والاستقلال .

فالحرب والفتح ، عنصر ملازم لبقاء هذه الحضارة . هذه الحضارة التي لا تجد حرجا في افناء الهنود الحمر بامريكا ، والقبائل الاسترالية ، والشعب العربي في الجزائر ، وفي اكثر البقاع التي وطئتها قدم الانسان الابيض في آسيا وافريقيا ، طاردة منها سكانها الاصليين الى داخل الغابات تفترس الوحوش مرة ، وتفترسها الوحوش مرة ، فتتقرض هي والوحوش معا ، ذات يوم .

هذه هي قوام النظرة الى الاخرين ، والغرباء منهم بصورة خاصة،التي تدعو اليها الحضارة الغربية لتبرر بقاءها مدفوعة بعوامل استعمارية بحتة. هذا ما جعل مأساة مليون لاجيء عربي ، مأساة مفتعلة في نظر الرأي العام الاوروبي ، فهضمها ضميره اللا اخلاقي ، ولم تهزه حتى اعماقه ، لينتصر للمشردين العرب ، وكذلك لم تهزه حرب السويس البشعة ، وكانت قد الهبته مبادرة روسيا لاخماد ثورة المجر ، جاعلا من اولئك شهداء .. ومن ملايين العرب الثائرين ضد الظلم والاستعمار الاوروبي ، جماعة من العصاة الثائرين على الحضارة التي رفعتهم الى مصاف البشر السوي !!

اما الاحلاف ومن يساندها في العالم العربي ، فهي المظهر الثاني من المظاهر المخلة بسيادتنا القومية بالذات . ذلك ان الاحلاف والذين يدعون اليها ، هي جزء من كل ، شامل متكامل ، لخطة رهيبة من خطط الاستعمار الجهنمية . ولا ادري اذا كان من حسن حظ العرب كشعب ، والعروبة كقضية ، انّ تنتصر الثورة الاشتراكية في روسيا عام ١٩١٧ ام انه من سوء حظهما على التحقيق ؟ ويبدو حسن الحظ في ان العرب اليوم يستفيدون من التوازن القائم بين المعسكرين فيتأرجحون على حبل الاستعمار ما وسعهم التأرجح ، الى ان يقطعوه . لا ليصبحوا غربيين من جديد ، او شرقيين ففي ذلك هلاكهم المحقق . ولكن ليبرزوا من خلال الانقاض والملايين المشردة ، وقسوة المظالم ، شعبا طموحا ، وقضية عادلة نبيلة المقاصد ، سامية الاهداف . ويبدو سوء حظ العروبة ، ان الغرب وجد في الشيوعية مادة دسمة للدعاية ضدها وسط الامم الراغبة في الحياد ، وامتنا العربية من بينها ـ وهذا من شأن الاستعمار وحده ـ

ولكن الخطر كل الخطر ان يقع بعض بسطاء الحكام فريسة سهلة لهذه الدعاية وان ينقادوا بشعوبهم الى صف الاستعمار، فهذا الذي لنا به الشأن .. بل كل الشأن . لان الامر قد تعدى حده المألوف ، وبدأت العروبة تتهم بالشيوعية ـ وهي من الشيوعية براء ـ ولا ادري ماذا يكون موقف الاستعمار اليوم لو لم تكن الشيوعية ولو لم يكن ماركس على الاطلاق ؟ اتراها تعدم ضحة اخرى ـ ادهى من التهمة بالشيوعية وامر ـ لالصاقها بكل عربي حر ، يريد لوطنه ان يتحرر من الاستعمار ، ولبلده ان يخلو من العبيد المرتزقة ، ولمواطنيه المزيد من الحرية والكرامة وراحة الضمير .

على ان الامر في الواقع ، ليس تخمينا . فالتطور لا بد منه ، والبشرية سائرة الى الامام ، وليس من عقبة تستطيع ان توقف سيرها الملح . وكل ما هنالك ان الشعوب تريد ان تتحرر ... وتريد ان تتطور ، والاستعمار وقد هيأ اسرائيل خارج حدود الدول العربية ، قد هيأ ايضا احلافه المنظورة وغير المنظورة ، فاشعل النار داخل العالم العربي ، وسلط العربي على العربي ، سلط الحاكم على المحكوم ، وسلط السادة العبيد على الاحرار المستعبدين . وجلس يرقب نتيجة المعركة التي يخوضها الشعب العربي من المحيط الى الخليج ضد الاستعمار ... ضد اسرائيل كدولة قائمة في قلب العالم العربي .. وضد ما يمكن ان تستطيعه اسرائيل في المستقبل .. وضد الاحلاف الرامية الى السيطرة على منبع القوة والصفاء والخلق القويم في الشخصية العربية ليحول دونها ودون ما يمكن ان تعده ضد اسرائيل كمظهر من مظاهر الاستعمار الخارجي الجاثم على صدر العالم العربي.. وضد ما تعده هذه الاحلاف الاستعمارية بحجة محاربة الشيوعية في داخل العالم العربي .. وفي خارجه لمحاربة الاتحاد السوفياتي ، بوقيد من العالم العربي ، مستعينة باستجابة بعض المغرمين بالحكم ..واعداء التطور .. وحماية الرجعية وتزويدها بأكثر عناصر البقاء.

والشعب العربي اذا كان يقاوم اليوم الاستعمار بمظاهره المتعددة الخارجية والداخلية منها ، فانه مدعو لاثبات وجوده الحي في معركة البعث الخالدة التي يخوضها ضد كافة ما تركه الاستعمار على ارضنا الطيبة من عقد النقص والخوف من الغد ، كأمة وكحضارة .. وكاتجاه حضاري، وسط هذا الصخب الذي يعلو ولا يزال.. وضد العناية بقشور الحضارات وترك لبابها .. وضد اذابتنا في بوتقة الامبراطورية الاقتصادية الجديدة ، كخدم وعبيد .. وضد حرب الابادة التي نتعرض لها في فلسطين ، والجزائر وعمان ، وعلى كل ارض عربية .. ضد الامتيازات التي سرقها الاستعمار في غفلة عن عين الشعب التي استيقظت اليوم ولن تنام ابدا .. وضد كل المعاهدات التي توطد للاستعمار قدما ، وللخونة قدما ، وضد كل ما تعده طبقة العبيد والرجعية لايقاف عجلة التطور عن السير مهما اعترضتها من صعاب .

تقف العروبة اليوم على قدميها : ثورة في الجزائر . ثورة في عمان . ارهاص بالثورة في كل ارض عربية يقيدها الاستعمار بغل وضع مفتاحه في ايدي حفنة من عبيده وخدمه الاذلين. وتبدو معركة الشعب العربي معركة مستمرة لا نهاية لها بالنصر المؤزر الذي يضع حدا لعبث الاستعمار بسيادته القومية ، وعزته الوطنية ، وامجاد تاريخه النبيل .

ولعل البارز في معركة العروبة مع الاستعمار انها معركة واضحة . فالمحاربون في صف العروبة معروفون ، حيث الشعب العربي من المحيط الى الخليج وقيادة عربية تحررية تؤمن بالحياد بين المعسكرين ، وتسعى للسلام في العالم اجمع . والمحاربون ضد العروبة معروفون ايضا ، حيث الاستعمار كفكرة استغلال واستعباد ، واسرائيل كسيف مسلط على الرؤوس ، وطبقة رجعية من الخونة والاذناب وتجار السياسة وبعض اصنام الحكم . وتبدو وسيلة الحرب بارزة صورة ومضمونا . اما الصورة فتتجلى في هذه الاساليب من الديمقراطية الكاذبة التي تمرس بها كثير من الخونة والاذناب ولصوص الحكم ، ومن خلفهم الاستعمار . اما المضمون، فوجود هذه الطبقة بالذات من الخونة التي ربطت مصلحتها بمصلحة الاستعمار ، ضد الشيوعية ـ والعروبة ، كقضية ، من الشيوعية براء ، لان طريق تحرر العروبة الى الان لم يصطدم لا بالشيوعية ولا بالاتحاد السوفياتي . وكذلك وجود هذا الاستعمار المتمثل في شركاته النهمة النهابة ، وجيوشه المعسكرة على الارض العربية ، والمعاهدات التي يحترمها جانب واحد ، وكل الحلقات الاستعمارية المسماة احلافا تبغي الحفاظ على الحضارة والعالم الحر واسرائيل !! وايضا ، وجود اسرائيل كفكرة عملية من جانب الاستعمار ، تجسدت في شعب طريد ، وجرح لا يزال ينزف حتى الان وعلق لا يزال يرتوي من هذا الجرح النازف . وايضا ثم ايضا ، وجود كل من يدعو الى محاربة الاستعمار بمزيد من الديمقراطية علاوة على مظاهر الديمقراطية المريضة التي يتخبط الشعب العربي من جرائها في البؤس والاستغلال حتى الان ولا يزال .

اما وقد وضح المعسكران : معسكر العروبة ، ومعسكر الاستعمار ، فان طريق الخلاص اضحت هي ايضا معروفة وليس لنا الان الا ان نسردها ببساطة وهدوء.

قامت في مصر عام ١٩٥٢ ثورة . ونحن اليوم في عام ١٩٥٨ . وفي هذه السنوات القليلة استطاعت الثورة ان تحرر مصر داخليا من الرجعية

دار مكتبة الحياة

التي اخذت على عاتقها طبع واخراج الموسوعة اللغوية الكبرى

معجم متن اللغة

للعلامة الشيخ احمد رضا

تزف البشرى الى العالم العربي باصدارها الجزء الثاني من هذه الموسوعة للاسواق ، وهي اذ تؤكد بمشروعها هذا انها ستعيد الى نفوس قراء العربية الثقة التامة باكمال هذه الموسوعة اللغوية الضخمة .

ومن اذناب وعملاء الاستعمار ، واستطاعت الانتصار على الاستعمار وعلى احلاف الاستعمار ، واستطاعت ان تخوض معركة التحرر والوحدة بعزم وحزم لا سبيل الى وصفهما . وحطمت على جدار بور سعيد الفولاذي اعتى عدوان تعرض له شعب حر في التاريخ . فمن أين جاءت الثورة بكل هذه الفضائل ؟ وللاجابة على هذا السؤال لا بد لنا من سرد الحكاية من اولها .

قامت في مصر عام ١٩٥٢ ثورة . نحن اليوم في عام ١٩٥٨ . ولعل الصدق لم يتجل كما هو في تاريخ هذه الثورة منها في تاريخ اية ثورة مماثلة . كانت ثورة مصر تؤمن بالواقع كما هو ايمانا مجردا من العاطفة. وتؤمن بالفكرة التي تحملها لاصلاح هذا الواقع ايمانا مجردا من العاطفة ايضا . وتؤمن بوسيلتها التي انتهجتها في تطبيق هذا الاصلاح تطبيقا مجردا من العاطفة ايضا ، وايضا .

وجدت الثورة ان مصر تزخر بالاحزاب ـ واكثر الاحزاب ظاهرة مرضية في المجتمع العربي ـ . هذه الاحزاب لا تمثل اتجاهات جذرية ولا تعبر عن محتويات اجتماعية لجمهور الشعب العربي في مصر . بل هي تتكون من طبقة واحدة ، طبقة الطبقة التي تمتلك الارض وتمتلك الصناعة وتحتكر التجارة ، وتمتلك الشركات والمشاريع ومن يحف بها من عبيد وخدم . هذه الطبقة قد تملك كل الثروة في مصر .. ولكنها من حيث العدد لا تمثل خمسة في المئة من مجموع الشعب العربي في مصر . طبقة ليس لها من رصيد شعبي سوى رصيدها في بنك مصر .. وبنوك العالم الحر قاطبة !!

هذه الاحزاب ـ كما وجدتها الثورة ـ اشبه بشركات تصنع الغزل في معاملها العديدة . من مصلحة كبار المساهمين ، ان يتزاحموا على السوق ـ الحكم ـ وان يغروا بالمستهلك ـ المواطن ـ فاذا كونوا فيما بينهم كارتل او تروست ـ ائتلاف قومي او دمج حزبي ـ فمعنى ذلك ان كبار المساهمين زعماء الاحزاب ـ قد اتحدوا ضد صغار المساهمين ـ جمهور الاحزاب ـ وضد المستهلكين ـ الشعب بأسره ـ . وان شركة ـ حزبا ـ او شركات ـ احزابا ـ هذا شأنها لجديرة بأن تحل كما فعلت الثورة في مصر .. لاعادة تركيب العناصر الايجابية والقيادية للمجتمع من جديد .

في مثل هذا الجو الفاسد ، الطافح بالخيانة والرشوة ، وشراء الضمائر ، والتزلف لذوي السلطان ، كانت القضية المصرية ـ كجزء من القضية العربية مع الاستعمار ـ تخسر الشوط في كل مرة كان الرأي العام العربي يصفق لها ايذانا بفوزها .. وكان الخسران بسبب بسيط هو ان الوكيل كان يتفق مع الخصم ضد الموكل ، فلما اغلقت الثورة الباب الى الابد على هذه الاحزاب ، او تلك الشركات ان اردنا الدقة في التعبير، تحرر المستهلك ، ونشط المساهم الصغير ، وحفظت الثورة ، الثروة القومية فلا تطير في مضاربات البورصة او مضاربات الحكم .

ولقد فقد الاستعمار بحل الاحزاب في مصر معينا نشيطا ، وهذا ما سيفقده في كل قطر عربي اخر ـ كفى المستعمر مؤونة الكشف عن وجهه طيلة امد الاحتلال ـ الا في ثورة ١٩١٩ يوم خرج قياد الثورة من يد القادة الى يد الشعب ـ ووقفت مصر حكومة وشعبا يدا واحدة ضد المستعمر.. ضد جنود الاحتلال في القناة .. فاضطر اخيرا ، كما قال الرئيس جمال عبد الناصر ـ ان يحمل عصاه ويرحل .. لانه ليس من مصلحة له عاجلة او اجلا في مصر ولا في العالم العربي كافة، في ان يشهر سلاحه ويحارب دفاعا عن بقائه . انه ذكي نوعا ما ، لقد خسر معركة ، فلينسحب اذن.. وليعاود الهجوم مرة ثانية على مصر .. بواسطة عملائه المنبثين في اكثر الاحزاب القائمة في العالم العربي .. وبواسطة نفوذه وسلاحه واسرائيل اذا لزم الامر .. فلما نفدت ذخيرته من الدس والاستغلال ، وفقد امله في اعوانه داخل مصر وخارجها ، جرب الحرب الصريحة .. فكان امرها ان زوى بطلها في جامايكا .. واضحى عبد الناصر زعيم العرب كشعب .. واضحت فلسفة الثورة ـ كطريقة في الاصلاح والحكم ـ فلسفة العروبة كقضية .

ونظرة فاحصة نلقيها على اكثر البلاد العربية .. لندرس احزابها واوضاعها الاجتماعية والاقتصادية ، نخرج بها بنتائج واضحة ، تؤكد ان وضع مصر مشابه للاوضاع في اكثر البلاد العربية ، واحزاب مصر كاحزاب اكثر البلاد العربية .. والشركات التي كانت قائمة في مصر ، هي ذات الشركات القائمة اليوم في اكثر البلاد العربية.. لها نفس الاهداف والمطامع في السيطرة على السوق واستعباد المستهلك !!

ان مصر الثورة قد ضربت المثل الصالح ـ والمثل الصالح قدوة ـ في تحرير نفسها من ربقة هذه الشركات ـ الاحزاب ـ وتخليص الوطن من انصار الاستعمار المنبثين في مجالس ادارتها ، وطردت الاستعمار الى غير رجعة ، وهي تخوض اليوم ، معركة التحرير الكبرى على اوسع جبهة ضد الاستعمار عرفها تاريخه ، لتعيد الثقة الى نفوس المواطنين من ابناء الشعب العربي ، بقضية وطنهم العربي الكبير ، وحقه في السيادة الكاملة والحرية الصحيحة ، بعيدا عن تيارات المذاهب المختلفة ، وعن اساليب هذه المذاهب في السياسة والحكم ، لاقامة كيان عربي اصيل ، في ظل راية القومية العربية ، كنزوع انساني ، نحو عالم فاضل ، حر ، سعيد .

حلب — علي بدور

من الاصدقاء

صدر حديثا :

للشاعر السوري

الدكتور عمر النص

الليل في الدروب

مجموعة شعرية

و

كانت لنا ايام

مجموعة شعرية اولى

طبعة جديدة

دار اليقظة العربية بدمشق

يطلب من جميع المكتبات في العالم العربي